بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السابع عشر **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:2021\10\ 27م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

قال تعالى: ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ في أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَليم﴾[1] صدق الله العلي العظيم

هذه الآية السابعة من هذه السورة المباركة، سورة لقمان، وما زالت هذه الآية تتحدث عن الفئة الثانية، الذين عنونوا في الآية السابقة بعنوان من الناس، كما بحثنا ذلك مفصلاً، فهؤلاء الذين يشترون لهو الحديث كيف يتعاملون مع آيات الذكر الحكيم، وهذا من العجائب والغرائب عند بني البشر، آيات تتلى عليهم، أي: لا مشقة لهم، تأتيهم هذه الآيات مجاناً، فيعرضوا عنه. وفي المقابل يذهبون من مكة المكرمة إلى بلاد الروم والفرس ليشتروا ويدفعوا مالاً في قبال الباطل؛ ليصدوا به عن سبيل الله، غريب هذا الإنسان ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا﴾ أي آيات هي؟ هي التي في صدر السورة، قال: ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكيمِ﴾[2] عندما نقول آية فهي تستبطن معنى الانبهار، تستبطن معنى الإعجاز، تستبطن معنى النفوذ إلى النفوس، وهذه الآيات تتلى عليهم، لا كلفة لهم فيها، تأتيهم بسهولة، ومع ذلك يعرضون عنها، ولكنهم في المقابل بالنسبة للباطل يقطعون المسافات ويدفعون الأموال؛ لأن الآية السابقة قالت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَري لَهْوَ الْحَديثِ﴾ يعني يدفعون المال بإزاء ذلك، هذه هي مظلومية الحق في كل زمان ومكان، وكم هو كثير الآن في زماننا.

أولئك الذين خاطب الإمام الحسين عليه السلام عقولهم وعواطفهم يوم العاشر من محرم بشتى أنواع الخطابات، بخطاب عاطفي بخطاب المنطق والعقل، قالوا له: لا نفقه ما تقول، هذا نشاهده اليوم بأم أعيننا.

---

[1] لقمان 7

[2] لقمان 2

فإذن دائماً في مسيرة الحق والباطل يوجد مثل هذه الأمور، هناك جماعة من الناس الحق الذي هو نور، الفرقان الذي لا يحتاج إلا إلى فتح البصيرة عليه، ويأتيك في كل آن؛ لأن آيات الله تبارك وتعالى فوق حد الإحصاء، الآن في القرآن الكريم هذه آيات -لنقل عنها- بإرادة تشريعية، ولكن آيات الكون الباهرة، هي آيات تكوينية، هذه موجودة في كل لحظة، ولكن الكثير من الناس -واقعاً- كأن في أذنيه وقراً، في المقابل هو يسعى نحو الباطل، هو يذهب نحو فراعنة الأرض ليقدم لهم اعتماده، ألا نشاهد هذا في زماننا! حتى يكسب.

فإذن ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ في أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾[3] ما أعظم هذه الآية في تبكيت هذا النوع من الناس، هناك عناصر متعددة في هذه الآية تدلل على أن هذه الطبقة من الناس نزلوا في مستواهم في فكرهم في سلوكهم إلى أدنى المستويات، العلامة الأولى ما ذكرته قبل قليل، الحق والآيات الباهرة التي تعرض عليهم مجاناً يعرضون عنها، والباطل يدفعون بإزائه المال، هذا يدلل على مستوى هؤلاء. هذه العلامة الأولى.

العلامة الثانية: ولى مستكبراً، عجيب الإنسان إذا أردنا أن نقبل في مرحلة من المراحل وفي مرتبة من المراتب التكبر، القضية فرضية، إذا أردنا أن نقبل التكبر في مرحلة من المراحل يمكن يكون له وجه إذا أنا علمي أكثر من هذه المعلومة التي تقدمها لي، فلا أريد أضيع وقتي في هذا العلم فأعرض وأتكبر، إذا أردنا أن نقبل التكبر نقبله في هذه المرتبة وفي هذه مرحلة. أما إذا كان المعلومة الملقاة إليك والعلم الذي يتلى عليك هو آيات الحق الباهرة، هي آيات الكتاب الحكيم المملوءة بالحكمة والمعرفة والموعظة وأنت ما أنت عليه ومع ذلك تولي مستكبراً، هذه علامة أخرى في تدني مستوى هؤلاء.

العلامة الثالثة: ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها﴾ أن هؤلاء وصل بهم الأمر إلى أن قراءة الآيات عليهم وتلاوتها أمام مسامعهم لا تحرك فيهم شعوراً أبداً لكونهم لا يسمعون هذه الآيات، كأن في اللغة العربية للتشبيه الشديد، قالت ملكة سبأ عندما نكروا لها عرشها ﴿كأنه هو﴾ يعني لشدة المشابهة، وكأن غير الكاف

---

[3] لقمان 7

كأن تدل على شدة التشبيه، وإذا استعملت للظن تدل على قربه من اليقين، خصوصاً إذا صدر من المولى تبارك وتعالى، فهؤلاء في الواقع كالموتى، هذه علامة أخرى لتنزل مستواهم.

ثم أكد هذا المعنى ﴿كَأَنَّ في أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ أي يوجد في أذنيه شيء ثقيل منعهم من السماع.

ثم تأتي العلامة الأخرى التي تهدهم هداً، استعمل قرآن أسلوب التهكم، بينت الآية بقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَليم﴾ فبشره التبشير يستعمل في الفرح، فهذا نوع من التهكم بهم، فبشره، وما قالت فأنذره، لو قالت فأنذره هذا على وفق طبعها، العذاب الأليم ينذر به، أما الذي يبشر به الجنة، فكانت هذه العلامة الأخيرة قاصمة لظهورهم، وصلوا إلى هذا المستوى من التدني بأن يتهكم بهن بأن يجعل العذاب بشارة لهم.

هذه هي حال هذا الفريق الثاني الذي استعرضته هذه سورة المباركة في مطلعها، والإنسان العاقل في المقارنة بين الفريقين، بين فريق أهل الإحسان وهؤلاء الناس، لا بد أن يصل إلى نتيجة ليؤكد عليها القرآن في الآية الثامنة مباشرة بعد هذه الآية، فيقول: ﴿إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعيم﴾ نتكلم عن ذلك إن شاء الله في الجلسة القادمة والحمد لله رب العالمين.